

الوعي الاجتماعي في التعابير الشعبية في الغرب الجزائري "النكتة الشعبية أنموذجا"

محمود بوكفوسة، جامعة تلمسان (دكتورائي).

البريد الإلكتروني: Boukeffoussamahmoud@yahoo.com

المخلص: تتعدد مداخل دراسة الوعي الاجتماعي في مجتمع ما، بحيث لا يمكن حصرها أو تحديدها في جانب معين أو ظاهرة بعينها. ولعل الاهتمام بالوعي الاجتماعي في التعابير الشعبية أحد أبرز هذه المداخل؛ فمن خلالها يمكن للدارس أن يدرس خبايا المجتمع ويتعرف على مستوى الوعي فيه فما تتداوله الأوساط الشعبية من نكت مثلا -باعتبارها شكلا من أشكال التعبير - تمكن الباحث من تحليل مستوى الوعي الاجتماعي لهذا المجتمع في مرحلة زمنية معينة، لأن مضامينها وموضوعاتها منطلقات ومقصدية معينة، لا تدرك إلا بالتحليل والمقاربة.

وانطلاقا من هذه الفكرة يحاول الباحث في هذه الدراسة الميدانية أن يسلط الضوء على الوعي الاجتماعي في التعابير الشعبية في الغرب الجزائري، بالتركيز على النكتة الشعبية ومدى تصويرها للوعي الاجتماعي في هذه المنطقة.

الكلمات المفتاحية: التعابير الشعبية؛ النكتة؛ الأدب الشعبي؛ الوعي الاجتماعي؛ خبايا المجتمع.

Abstract:

Raisons of studying the social awareness of any society are different, and they can not be limited in one side. Taken the social awareness in consideration is one of these raisons; by it the searcher can study the social gaves and know the awareness level. Jokes, considered as a way of expression, give to the searcher the opportunity to analyse. The awareness level of a society in certain period.

Starting by this idea, the searcher wants to study the social awareness in public expression in the Algerian west focusing on the public joke and how can it express the social awareness in this area.

Keywords: Public expression; joke; public literature; social awareness; gaves of community.

تمهيد:

تتميز التعبيرات الشعبية بانتشارها السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية، حيث إنها الوسيلة التعبيرية التي تحظى بالعناية والاستعمال من لدن قاعدة اجتماعية واسعة، فهي توظف في المدينة والبادية من قبل مختلف الفئات بالرغم من اختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعي والاقتصادي، ولاشك أن اتساع توظيف أشكال التعبير الشعبي في الإبداع الشعبي راجع بالأساس إلى « سهولة تمثله واستيعابه من جهة وإلى بنائه التركيبي وقدرته التعبيرية على كل أصناف السلوك من جهة أخرى » (علي أفرار، 1996 : 57)، فهي أشكال تقوم بدراسة بقايا آثار ماض أخذ يندثر ويتلاشى وتحاول تقصي تاريخ محدد لتراث ما، والمحافظة على شكل فني أخذ يحتضر، لذلك نجد وسائل التراث الشعبي تتنوع بقدر ما يمكن للتعبير الإنساني أن يتنوع، فهو يحتوي من الفن اللفظي المنطوق (الشعر، الأغاني، الأمثال، النكت والمسجلات الكلامية، الأساطير ...) إضافة إلى الثقافة المادية من رقص وطقوس وملابس وأكلات شعبية، حيث يمكننا القول بأن التعبيرات الشعبية تهتم بكل المواضيع سواء أكانت مرتبطة بالرجل أم بالمرأة أم بالزواج، بل تتعدى ذلك لتقدم نصوصا تعبر عن مجالات دقيقة كالفلاحة وغلاء المعيشة والفقر والسلطة والتنافس وغيرها من المجالات ونلمس ذلك أكثر تجسيدا في النكتة والمثل والغز.

النقد الاجتماعي في النكتة الشعبية :

يعتقد البعض أن النكتة الشعبية هي التي توصل الفكرة إلى الجمهور في قالبها الفكاهي الساخر والدافع إلى الإضحاك والتسلية والترفيه، وهو ما اتخذه بعض النكات الذين حاولوا مخاطبة الجمهور بنكتهم الشعبية التي كانوا يعرضونها في المناسبات والليالي الرمضانية والصيفية، حتى أصبح الكثير من الناس يقضون معظم الليل خارج بيوتهم متوجهين إلى الأماكن التي يجدون فيها مثل هذه المجالس الفكاهية تسلية لنفوسهم، وبهذا المعنى أخذ النكات الشعبيون يجلبون مستمعهم إلى نكتهم ومجالسهم ويخاطبونهم باللغة التي تناسبهم ويختارون الموضوعات التي يألّفونها.

أصبحت النكتة الشعبية في المجتمع تنتشر في أماكن معينة يقصدها الناس بحثاً عن التسلية، ولكن أصحابها أخذوا يلقونها في قالب نقدي اجتماعي يعمل على دفع المجتمع وإيقاظه من سباته بأسلوب هزلي مضحك ومقارنة الحقائق المروية في النكتة بالحقائق المعاشة في الحياة اليومية للمجتمع، ومع التركيز على الحدث في حد ذاته، وما يكون قائلها إلا أداة يتحقق من خلاله هذا الحدث إضافة إلى تعرضها لإثارة المشاعر والتفاعلات وذلك لجعل السامع يجلس ليسمعها « من أجل تأملها تأملاً هادئاً والكشف عن حقيقتها وهي لذلك تولى أهمية خاصة للطباع والصفات النفسية التي تستمر طويلاً مع الإنسان، وتؤثر في سلوكه وهي في تناولها للوضع الاجتماعي والسياسي تنحو منحى نقدياً » (عبد الحميد بورايو بن الطاهر، 126)، إنها توجه انتقاداً لازعاً لمختلف أشكال انحراف السلوك الاجتماعي وتجاوز ما تعارف على المجتمع الشعبي، وكل ذلك بالتزام القصد في المعنى وتجنب التكلف.

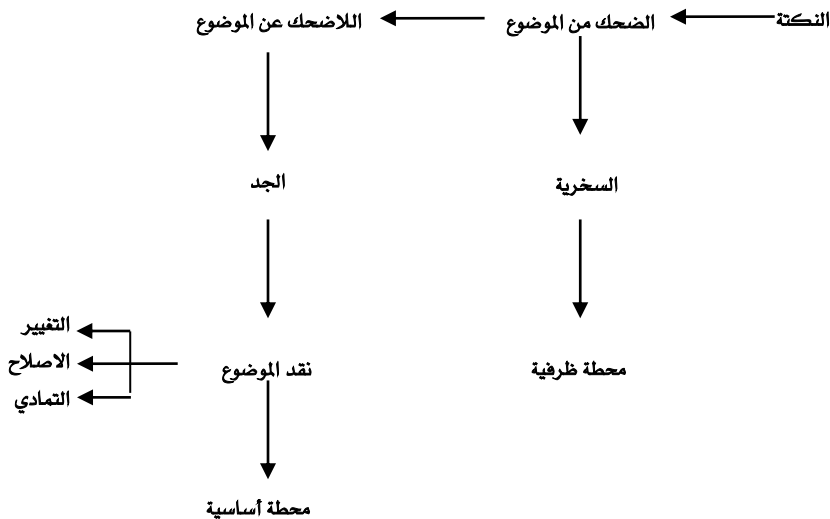
النكتة بهذا الشكل ليست وسيلة تأديب أفراد المجتمع، ولكن بواسطتها نستطيع الكشف عن العيوب والانحرافات، لأن موقف الإنسان الشعبي من كل ما يزر به المجتمع من متناقضات يمكن أن يتجسد بوضوح في النكتة الشعبية التي يرددها باعتبارها مرآة عاكسة لوعيه وتجربته ومبرزة لنضاله ومواقفه من الظلم والتعسف والفقر الاجتماعي الذي عاناه عبر وثيرة حياته، وموقفه من الحضارة، فمن خلالها يستطيع الفرد الشعبي أن يندمج في مجتمعه ويعي كل ما يحيط به من متناقضات، فمن وظائفها الوعي واليقظة ومجابهة صراع الواقع.

بهذا الشكل تعتبر النكتة الشعبية كناقذ اجتماعي والمغزى الأساسي منه «أنها تحاول أن تساعد أفراد المجتمع أو تحسيسهم بالواقع الاجتماعي المعاش، وإيقاظ أفراد المجتمع من غفلتهم، وبث الوعي في نفوس والأذهان» (فرليفة حميد، 2010-2011: 90)، وهذا يعني أن للنكتة وظيفة اجتماعية سامية فهي الوعي الذي من خلاله نفهم الواقع المعاش ونستطيع من خلالها أن نقاوم وننتقد ونصحح النقائص الموجودة داخل المجتمع وتقويم اعوجاجه هذا ما تمثله هذه النكتة الشعبية التي ترددت كثيراً داخل المنطقة « قَالَكْ خَطْرُهْ واحد سَقْسَى

واحد قاله خويا ما تُعرَفُش قَصْر العَدَالَه وَين جَاي، رَد عليه لآخر القَصْر نُعرَفُه وَين جَاي بَصَخ العَدَاله عُمَرِي مَا سَمَعَتُ بيها « (انظر الشرح رقم 1).

فهذه النكتة تمثل أقصى النقد الاجتماعي وتحاول الرفع من الوعي الاجتماعي للأفراد الشعبية عن طريق كشف المستور وتعريته وإبانتها على شكل رغبات مكبوتة فكأن هذه النكتة تبين أن العدالة شيء والواقع شيء آخر في نظر الفرد الشعبي، فالنكتة الشعبية تنحو هذا المنحى النقدي لأنها ترجمة لطبيعة إنسانية وتحرر لطاقة داخلية نفسية، فهي إنتاج من دافع نفسي تقوم النفس البشرية الوجدانية إلى دفعه لتنفجر في الحياة الاجتماعية، وبهذا هي تختلف عن أنواع الفكاهة الأخرى، وإن تبدو قولاً مضحكاً، فهي لا تتوقف في رسالتها عند مستوى الضحك، بل تهدف إلى نقد الموضوع، السلوك، الموقف، وتعريته وإثارته.

لتمتع للنكتة من حيث نشوؤها وأسبابها وأبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية يجدها خلقت من أجل أن تمرّ حتماً بمحطة لتتعداها إلى مستوى اللاضحك، فالنكتة بذلك تتحرك في نظر سعيدي محمد حسب المسار الدائري التالي (سعيدي محمد، 82):



الشكل 1: المسار الدائري للنكتة

وفي هذه النكتة الشعبية مثال على تقويم الاعوجاج والسلوك الاجتماعي ونجد الأفراد في المجتمع أخذوا يرددونها في ظروف خاصة نظرا لأهميتها الاجتماعية وتعريتها للموقف الاجتماعي حيث تقول:

« قَالَكْ حَطْرَهْ واحد طَلَّابْ تَزُوجْ مَعَ طَلَّابَهْ زَيْدُو وَلَدِ سَمَاوَهْ هَاشُو أَلْف »

(انظر الشرح رقم 2)

فهذه النكتة التي تداولت كثيرا بين الأفراد في المجتمع أخذت تكشف ظاهرة خطيرة انتشرت في المنطقة وهي ظاهرة التسول، وكيف أصبح الناس يحترفونها حرفة، ومنهم من يرفض العمل ويلجأ إلى التسول بسبب ما يجنيه من مال كثير وربح سريع دون أن يتعب نفسه، فهذه النكتة في إبداعها نلمح تعرية للمجتمع ونفده، وتبين كيف أصبحت هذه الحرفة تجري في الجسم مجرى الدم حتى الصبي الذي أنجبوه سمي « ها تشو ألف » فما مصيره يا ترى مستقبلا ؟ فالنكتة الشعبية كشكل من أشكال التعبير الشعبي تهتم « بموضوع الأخلاق بمعناها العام أو الشائع لدى العامة ففي القصة الشعبية أو القصيدة نلمس الهدف الأخلاقي واضحا، مثل انتصار الخير على الشر، والفضيلة على الرذيلة، هي الأفكار الغالبة على الأدب الشعبي » (التلي بن الشيخ، 84).

والظاهرة الاجتماعية في هذه النكتة تكمن في المعنى المزدوج الذي يحمله معناها، فهي في المقابل تحاول أن تصلح اعوجاج المجتمع وترى ضرورة التكافل الاجتماعي وأحقيته في المجتمع وإعانة المحتاجين، ولكن يجب أن تكون بطرق منظمة لضمان تكوين مجتمع قائم على الأخوة والمودة والاتحاد، وضمان عدم تعثر المجتمع اقتصاديا، حيث إنها توظف نصوصا « ذات قدرة مجازية كبيرة، لكونها - فيما نظن - نصوصا اختيرت كلماتها وجملها وأدوات ربطها بشكل دقيق، الأمر الذي يضفي عليها صفة التكثيف، باعتبار أن كلمة واحدة يمكن أن تختزل معانيا يصعب حصرها والإحاطة بها » (علي أفرار، 58) ومنه يمكننا القول أن هناك تماثلا بين النكتة الشعبية واللاشعور، لأن النكتة الشعبية تعتمد توظيف نصوصا مجازية حتى تنفلت من سلطة المجتمع و ضبطه.

التلميح والموقف الفكاهي للنكتة الشعبية:

نجد الموقف الفكاهي النابع من المعنى المزدوج للنكتة يجعلنا نرفض بالنكتة الشعبية المعاناة ونأبأها لأنفسنا، ونركز على مناعة الأنا في مواجهتنا للعالم الواقعي، فهي لا تخرج عن كونها ذاتا تنفي الألم، وتأبى أن تمسها تناقضات المجتمع فهي بهذا المفهوم « تغدو اقتصادا للألم، وانزياحا عن مبدأ الواقع، وسلوكا ينحو منحى التسامي والنظرة الفوقية » (عبد النبي ذاكر، 2000: 152) لأنها توجه نقدا لمختلف أشكال الانحراف السلوك الاجتماعي، محاولة أن تساعد أفراد المجتمع وتحسيسهم بواقعهم المعاش، وإيقاظهم من غفلتهم، وبث الوعي في النفوس والأذهان، وهي بهذا المنحى ذات وظيفة اجتماعية سامية، فهي الوعي الاجتماعي الذي منى خلاله يفهم الواقع.

يتبين لنا مما سلف، أن درجة وعي النكتة الشعبية توظف كنص شعبي يعبر عن وقائع ثقافية ذات أبعاد اجتماعية وسيكولوجية، ومن ثم، هي ليست كلاما مجانيا « بل كلاما يشير إلى موقف مسكوت عنه في حياة الناس أو مكبوت يصعب الإفصاح عنه، لذلك فإنه نص يوظف فيه الرمز والتشبيه والكناية والاستعارة والمجاز المرسل وكل ما تزخر به البلاغة العربية من فصول وأبواب » (علي أفرار، 58)، فهي بهذا التوظيف التلغيزي تدفعنا إلى فهم التناقض الذي تحويه وقبوله، وتفرض منا الانتقال من المبهم إلى الواضح، ومن اللامعنى إلى المعنى، لذلك تفرض على دارسها حضورا عقليا بنقبة عن مضمونها، فأى قراءة للنكتة فهي قراءة للاشعور بصيغة ما، فمن شروط نجاحها انبثاؤها على عنصر التلميح الذي ينم على دلالة الوعي الاجتماعي للنكتة إقناعا وإمتاعا عن طريق طرح الأسئلة والبحث عن المستغل فيها، ولعل هذا ما نلمسه في مثل هذه النكتة التي تلمح إلى خلفية المرأة في جلب أنظار الرجال إليها ومتابعتهم لها حتى تجعلهم صيدا سهل القنص وتحقق بهذا مرادها سواء أكانت راغبة في الزواج أو التعارف أو الانتقام ... مثل:

« قَالَتْ خَطَرُهُ وَحَدَهُ دَخَلْتُ لِدَارِ رُوَطَارْ، كِي سَقْسَتْهَا امْهَا عَلَاشْ دَخَلْتِي رُوَطَارْ حَتَّى ذَالْوَقْتِ ؟ قَالَتْهَا جِيَتْ رُوَطَارْ لَخَاطَرَشْ كَانَ وَاحِدْ اتَّبَعْنِي فَيَّا وَعَجَبْنِي وَيَمَشُّ غِيْزِي فِي غَرْدَةٍ وَبَشُوِيَّةٍ عَلَيْهِ » (انظر الشرح رقم 3)

فنلاحظ في هذه النكتة الشعبية التتابع والتدرج الناتج عن طريق السرد أو السؤال الذين يقومون بكشف المعنى المقصود وما كان يلمح إليه صاحب النكتة، فالتدرج اللغوي في هذه النكتة القائم على السؤال وضع لنا المواقف المقصودة لمكانة المرأة التي كانت تحظى بها قديما عندما كان الرجل هو الذي كان يبحث عنها ويقول فيها الشعر وكيف أصبحت في عصرنا هي التي تبحث عنه وتغازله أحيانا.

إن من مهام النكتة الشعبية حمل العمق الرمزي الذي يؤدي إلى تخصيب المعنى، ولا تكمن التقنية في مضمون النكتة، بل في صياغتها وتوجيهها وإداعتها لتؤدي الوظيفة المطلوبة، لذلك أصبح من حق مرسل النكتة أن يختصر أو يحذف أو يوضح أو يفسر، وذلك من أجل تحريض المتلقي على تقبل المعنى، مع ضرورة العلم دائما أن من طبيعة صياغة النكتة أن تكون موجزة مكثفة، مغتنية بخصوبة الحوار، وخصوصية المفارقة، وشحن الألفاظ بالدلالات المقصودة، فضلا على تحويل المعنى الرصين المستعلي إلى أكثر الدلالات إيضاحا (هاني صبحي العمدة، 2006 : 37).

ويظهر التلميح واضحا في النكتة الشعبية في الأثر النفسي الذي تحدثه في نفسية السامع ويترك نص النكتة فضاء رحبا واسع الدلالات، متعدد التأويلات» ليس مجرد طلاس، أو معادلات رياضيات لا طائل من ورائها، وهو ما شدد إلى حوار معك، واستفز مشاعرك وعقلك من خلال غموض عباراته وصوره وموسيقاه، إذ يجسد الغموض في إثراء النص الإبداعي وتعدد دلالاته وقراءاته مما يخلق نوعا من اللذة الحسية والذهنية تجاه خبايا النص واللامتوقع واللامنتظر في صوره وجمالياته الفنية « (موسى حبيب، 2011 : 196)، فالتلميح بذلك ينشئ عنصر الغموض في نص النكتة ويشعر السامع لها أنه بحاجة إلى النص مهما كان غامضا، ليطفئ من خلاله لهيب مشاعره وطموحه الذهني بمعارفه وتطويرها عن مشاعره ليس بشكل مباشر، بل من خلال الأبنية التي يمتلكها (قس النوري، 209)، وبهذه الأبنية يستطيع الفرد في مجتمعه أن يفرض قوته ويعبر عما يريد إيصاله وتبليغه.

درجة الوعي الاجتماعي للنكتة الشعبية:

تمثل النكتة الشعبية أداة رمزية وبيداغوجية ترتبط بعدة وظائف داخل المجتمع منها التوعية والعبرة وترسيخ الهوية وتخليق الحياة اليومية والتسلية والترفيه، « فهي تعتبر على وجه الخصوص مرآة للمجتمع التي انبثقت من مخيلته وترتبط به ارتباطا عضويا حيث تستطيع أن تكشف الغطاء عن ذهنيات أفرادها وأن تفصح عن ماهية اعتقاداتهم » (الحاج بن مومن، 2005 : 135)، لذلك نجدها تروى على نطاق اجتماعي واسع وتتغلغل في جميع الطبقات، وتسري إلى الفئات الاجتماعية جميعها، وتهتم بالواقع، وتعمل على تشريح آلياته، وفضح قيمه، وتسعى به إلى الإصلاح، لذلك اتخذت النكت الشعبية الواقع الموضوعي مصدرا لموضوعاتها واهتمت بالمجتمع أكثر من اهتمامها بالفرد، وتعاملت مع المشكلات الجماعية أكثر من العواطف الذاتية، والصدق بدل التمويه والكذب، وهذا ما نجده في أغلب النكت الشعبية المتداولة على ألسن الأفراد محاولة منهم التعبير عن الواقع المؤلم .

فهي بذلك، رغم الملابس غير المريحة للواقع تأتي للتحدي وتعلن انتصار الأنا ومبدأ المتعة فيها، لذلك هي تثبت من احتقارها للعالم الخارجي وقد شبهها وليام دافيس William DAVIS " بالترياق"، لأنها تصدر عن فئة مقهورة تستخدمها لتجعل حياتها الشقية محتملة (supportable)، فالنكتة الشعبية في شكلها القهري العايب " هي إن أضحكت أضحكت مضطرة، فليس غرضها الإضحاك لأن ما يهمها هو انتقاد الناس في تحفظ وحياء وقدرة على كشف النفس البشرية قصد تقويم اعوجاجهم، فالنكتة الشعبية هي تعبير عن الضمير الجمعي الذي يصدر عن وعي الأفراد داخل المجتمع الذين يكلفون مبدعا شعبيا يحمل مسؤولية التعبير الصادق عن أحوالهم سواء أكانوا في ظرف المعاناة والآلام أم في ظرف السعادة والحبور، وتأكيدا على ذلك نسوق هذه النكتة الشعبية التي تزرخ بمعاني اجتماعية تعبر عن الضمير الجمعي في حالة المعاناة حيث تقول :

« وَحَدَّه الْخَطَرُ بِزٍّ سَقَسَى بُؤْه: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالْمُصِيبَةِ. قَالَ بُؤْه: رُحْنَا لِلْبَحْرِ نُغُومُو، وَغَرَقَتْ أَمَكُ هَذَا يَعْطُولُهُ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ مَا نَعْتَرِضُشْ عَلَيْهِ، لَكُنْ الْمُصِيبَةُ لَوْ طَلَعَتْ أَمَكُ تَعْرِفُ نُغُومِ » (انظر الشرح رقم 4)

فالعوام هنا المقصود به أنها قد أصبحت المرأة تعلم كل شيء وتمارس الأدوار وتتقاسمها مع الرجل وتتافسه فيها سواء داخل البيت وخارجه، وهذا ما يؤدي إلى تنغيص حياته وجعله يعيش حياة هامشية داخل البيت، فهذه النكته تعالج ظاهرة اجتماعية وهي تسلط المرأة وتحول الأمور في البيت في يدها، وكيف أصبح دور الرجل في هذا العصر داخل البيت لا يساوي شيئاً، بينما كان قديماً هو الأمر والنهي والزوجة تخدمه، وهذا غالباً ما يؤدي إلى انهيار العائلة وتقلب الموازين فيها، فالنكته إنتاج شعبي مرتبط ارتباطاً عضوياً ونفسياً واجتماعياً بالجماعة التي أبدعتها لأول مرة، فهي إنتاج شعبي نابع من واقع نفسي اجتماعي ثقافي فيقول سعيد محمد في هذا الصدد أن النكت « هي تتبع من صميم الشعب في وسعها أن تحدد المكان والزمان الذين نشأت منهما » (محمد سعيد، 88)، فهي مهما كان نوعها تصور المصير الجماعي حتى ولو كان بطلها مفرداً ولغتها محلية ضيقة، وأهدافها فردية فيه ثمرة المخيلة الجماعية الشعبية، وهي ثمرة العقل الإنساني العامل، وحاملة للخبرة الإنسانية الناقدة للمجتمع، وهي المؤشر الحقيقي للجماعة بما يخفيه من هموم وبؤس.

النكته فضلاً عن إبداعها فهي ذات طابع اجتماعي لأنها تعمل على تقوية الروح والتعاطف بين أفراد الجماعة الواحدة، لأنها وعاء فني صادق يعبر عن أصالة المجتمع وهويته ويترجم لآلامه وآماله ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

يرى معظم العلماء أن الضحك هو التعبير الصريح عن حالة سارة موجودة في الإنسان، ولذلك جاء في قولهم " الإنسان حيوان ضاحك " يضحك من همومه تخفيفاً وتنفيساً، باعتبار أن المجتمع ينتج بالعمل ويستهلك بالترفيه، بمقابل إنتاج العمل الشعبي نجد ظواهر الترفيه الشعبي كالنكته والاستهلاك الجماعي لمظاهر سلع الإنتاج المادية والمعنوية، وعليه يصح القول « إن الترفيه الشعبي يتضمن من مبادلات وانتقادات داخل المسالك الاجتماعية، يرشدنا إلى حركة التفتح الداخلي للمجتمع » (خليل أحمد خليل، 1973: 165)، فالترفيه الشعبي وعلى رأسه النكته الشعبية ينتج لحة ثقافية قائمة على التضامن الاجتماعي العفوي والبديهي، فالناس إذ يستمتعون بمعاني العيش إنما يبدعون أدباً للعيش الاجتماعي القائم على المؤانسة والمظارفة، ومنه فالنكته الشعبية تحتل مكانة أولى في الإنتاج

الشعبي للثقافة فهي تمثل ملح الثقافة الشعبية تماما كملح الطعام « فهي إذن الطرفة المؤنسة التي تشعل الوعي الأولي وتفكه النفس البشرية » (خليل أحمد خليل، 1973: 167)، وذلك نظرا لما تثيره من الضحك الذي هو مصدر للسرور كما يرى عالم النفس البريطاني وليام مكودجل حين أشار إلى أن الضحك ليس تعبيراً عن السرور بل هو مولد للسرور، فنحن نضحك لأننا نحسّ بالنعاسة، والضحك يجعلنا نشعر بأننا في حالة أفضل (عبد الحميد شاكر، 2003: 25)، فهو نوع من الصحة النفسية، يساعدنا على الهروب من عناد الواقع والاستمتاع بلذة الحياة، والضحك في النكتة الشعبية يؤدي دوراً رئيسياً في صميم حياتنا الاجتماعية والنفسية، لأنه يحاول أن يصرف الألم ويحرر الإنسان من قسوته، ويبعث إلى النفس الصفاء والتفاؤل.

انطلاقاً مما سبق، نجد عالم الفلكلور هجرتي كراب في كتابه علم الفلكلور يفرّد فصلاً حول الحكاية المرحّة ويعني بها « تلك الأحداث القصيرة المنثورة أو المنظومة، التي تحكي سلسلة من النوادر، وتنتمي إلى موقف فكّه مرح، أما موضوعها فيؤخذ من الحياة اليومية، وتندر فيها الخوارق، وحين تظهر هذه العناصر تكون وظيفتها أن تخلق القاعدة التي يقوم عليها الموقف المرح لا أن تخلق الموقف الفكّه » (الكزاندر هجرتي كراب، 1967: 94)، فعنصر المرح هو ما يميز النكتة الشعبية كجنس أدبي عن سائر الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى، فهي بذلك تسري عن قرائها ومستمعيها، وتريد أن تشرّ فيهم المرح، وذلك أن الدعاية من سماتها الأساسية .

ولا يخفى علينا، أن النكتة الشعبية تقوم بتحسيس الأفراد بضرورة تقويم أخلاقهم وإلزامهم على المحافظة والتمسك بتقاليدهم وعاداتهم، فهي تعمل على التماسك الاجتماعي وربط الصلة بين الأفراد وتعزيز انتمائهم الاجتماعي وكل ذلك بطرق ذكية ورموز خفية مع إثارة المشاعر في شكل فكّه مرّن، فالفكاهة كما يصورها جيرار جنيت « مزيج بين الجد واللعب، ونفاذ البصيرة واللعبية والإنجاز الثقافي والتسلية » (عبد النبي ذاكر، 154)، فهي أسلوب أدبي يتآخى فيه الطريف مع السخرية والمرح مع الحزن، فيلجأ إليها الفرد الشعبي كسلاح عندما يشعر بعدم الانسجام بين الفرد والمجتمع فهي بهذا المفهوم قصاص غير مؤلم تظهر كأداة

يستعملها المجتمع لتأديب من يستهين بتقاليده أو يستخف بها «... فهكذا وجد الإنسان في القصة وسيلة سهلة للتفكير الحر وللتعبير عن آرائه ونقد مظاهر الحياة التي لا تناسبه نقدا رمزيا بقصد الإصلاح والتمهيد إلى تحرير المجتمع من الاضطهاد» (روزلين ليلي قريش، 1980: 08)، واستطاع من خلال نكته الشعبية أن يقاوم و ينتقد ويصحح الأخطاء والنقائص الموجودة داخل المجتمع وتقويم اعوجاجه.

ولعل هذه النكته المتداولة في المناطق الحضرية والقروية تدل على مدى دفاع النكته على التقاليد ووسيلة لإثبات الانتماء وهذا ما تمثله هذه النكته الشعبية :

« قَالَكْ خَطَرَه وَاحِدْ دِيْمَا تُسْقِسِيه خَطِيْبَتِه وَاشْ فَطَرْتِ الْيَوْمَ يُقُولَهَا لُونِيَا وَكُلْ يَوْمَ السُّوَالْ غَيْرْ هُوَ وَبِجَوْبِهَا دِيْمَا هَكْدَا وَخَذِ النَّهَارَ قَالَهْ صَاحِبَه كَذْبْ عَلَيْهَا شَوِيَه وَهَآؤْ كُلْ يَوْمَ تُقُولَهَا كَلِيْنَا لُونِيَا، الْيَوْمَ كِي تُسْقْسِيكْ قُولَهَا فَطَرْتِ بِيْتَزَا، دَارْ عَلَى صَاحِبَه كِي ثَلَاَقَا بِيهَا سَقْسَاكْ شَا فَطَرْتِ الْيَوْمَ قَالَهَا فَطَرْتِ بِيْتَزَا. قَالَتْ لَهُ وَاشْ جَاتْ بُنِيْنَه ، قَالَهَا وَاللهُ كُلِّيْتُ غَيْرْ رُؤُجْ مَغَارَفْ مِنْهَا » (انظر الشرح رقم 5).

فهذه النكته تدل على شدة تمسك الفرد الشعبي بالأكلات الشعبية اليومية ويرى أن أكلة " البيتزا " أكلة دخيلة عليه وهي ليست من عاداته وتقاليده، وأكلة " اللوبيا " هي أكلة شعبية في فصل الشتاء خصوصا، وكيف تتفنن المرأة في بعض المناطق في تجهيزها عكس " البيتزا " فعنده تدل على المرأة العاجزة، التي لا تبذل جهد في المطبخ وتستعين بما هو جاهز من الأكل .

فمضمون هذه النكته يدل أن النكته الشعبية تقوم بالحفاظ على القيم والعادات والمثل العليا للمجتمع وتحارب كل من يستهين بقيمه ويتعقد من انتمائته، فهي تقوم بالوعي الاجتماعي عن طريق محاربة نقائص المجتمع وتوجيه الأفراد إلى سلوك اجتماعي قويم وسديد كل ذلك في « متنتها صيفا متناقلة عبر الأجيال تصور الطابع الخيالي والنقيض للواقع اليومي، والمبني على المفارقة في تمثيل القيم الاجتماعية الفردية المتناقضة من خلال الصور الكاريكاتورية المعتمدة على المفارقات اللغوية القائمة على سلب المعنى من أجل توليد المعاني » (عبد الحميد

بورايو الطاهر، 142)، فهي بهذا المأخذ تنبثق من ضمير الشعب تعبر بصدق عن وجدانه وآماله ورؤيته للكون والوجود وعلاقته مع الآخرين، ونظرا لنبعها من أعماق المجتمع نجدها تحمل أخلاقه وعاداته وتقاليده ومعتقداته، وتتأصل قيمه الروحية والثقافية بغية نقلها إلى الأجيال وترسيخها في ذهنه شأنها في ذلك شأن الأجناس التعبيرية في الأدب الشعبي فهي تضمن للفرد «... وجوده المميز بين المجتمعات والأمم، فهي وسيلة من وسائل الدفاع عن كيانه وحقه في الحياة، وترتكز عليها لتتويز الخلف بتجارب السابقين، وربطهم بأصلهم وقيم أجدادهم الروحية والإنسانية، التي هي جوهر الوجود الإنساني، فالإنسان بلا قيم معينة ليس له وجود وليس له انتماء وليس له تميز عن غيره، يصير كالماء بلا لون ويعرض شخصيته لأي لون يفرض عليه، فمن فقد الارتباط بتاريخه وقيم مجتمعه يعيش مسلوب الإرادة» (محمد مجاهد، 05)، منه يكمن الوعي الاجتماعي للنكته الشعبية أنها ضرب من ضروب التفاعل الاجتماعي تقوم بوظيفة اجتماعية تواصلية تربط الأجيال ببعضهم.

التفاعل الاجتماعي في النكته الشعبية:

إن التفاعل الاجتماعي ضرب من الصور الاجتماعية التي تعكس تأثر الفرد بأعمال وأفعال وآراء الآخرين وتأثيره، وكل ذلك يتم عن طريق الاتصال الذي هو «العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين يختلف من حيث الحجم و من حيث محتوى العلاقات المتضمنة فيه» (محمد عودة، 05)، فيمكن أن يكون هذا النسق الاجتماعي مجرد علاقة ثنائية بين شخصين أو جماعة صغيرة أو مجتمع محلي أو قومي أو إنساني.

إن الاتصال حاجة إنسانية أولية وليست مضافا عرضيا يمكن الاستغناء عنه، إنه ليس اختيارا بل إكراه اجتماعي يتعلم الفرد من خلاله كيف يتأقلم مع قوانين المجتمع ومقتضياته، فكما أنه لا يمكن الحديث عن الإنسانية إلا من خلال وجود مجتمع كما يقول أمبرتو إيكو فإن الحديث عن المجتمع لا يمكن أن يتم دون الحديث عن نشاط اتصالي يمكن الأفراد الجماعات من إشباع حاجات لا يمكن أن تشبع اعتمادا على مجهودات الفرد وحده، وقد ذهب البعض إلى الاعتقاد أن الاتصال والأخلاق ومجمل الإكراهات التي صاحبت الارتقاء الإنساني من

حالات " التوحش الطبيعي " إلى ملكوت العوالم الرمزية كلها أنشطة تحققت من خلال سيرورة واحدة، حيث يندرج الفعل الإنساني في كليته ضمن سجلات متباينة في التجلي، و لكنها متطابقة مع بعضها بعضا من حيث المضمون، فهي ما يشكل في نهاية الأمر إنسانية الإنسان، و ذلك هو السر في أن يكون الإنسان كائنا متصلا (فايزة يخلف، 185).

ذلك لأن الاتصال ليس نشاطا فرديا لا يدرك إلا ضمن حاجات الفرد المعزولة، بل هو سيرورة اجتماعية تعتمد سلسلة لا حصر لها ولا عد لها من الأنساق التي تختلف في التحقق من ثقافة إلى أخرى، ولكنها تعد في الجوهر تعبيراً عن مضامين إنسانية واحدة، إنه يعرفنا على العوالم الأخلاقية للآخر، وبه نستطيع إدراك خصوصيته رغبة في تفسير رد فعله لا يمكن أن يتم إلا من خلال حالات التبادل .

وما تنفق عليه، أن الاتصال ضرورة إنسانية واجتماعية، فحاجة الإنسان للاتصال لا تقل عن حاجته للأمن والغذاء والكساء والمأوى، وبما أن الإنسان كائن اجتماعي اتصالي، فإنه لا يستطيع العيش في معزل عن المجتمع، فالاتصال يعني تطوير وتقوية العلاقات الإنسانية في المجتمع، وبالتالي التماسك والترابط والتواصل بين الأفراد والجماعات والمؤسسات الاجتماعية .

ومما سبق نجد، أن النكتة الشعبية بدورها الاجتماعي هي من أسمى ضروب التفاعل الاجتماعي القائم على التواصل لأنها تسهم في تكوين سلوك الإنساني، فمن خلالها يكسب الفرد خصائصه الإنسانية، ويتعلم لغة قومه، وثقافة جماعته وقيمها وعاداتها وتقاليدها، وتهيئ الفرص للأفراد، فعن طريقها يظهر المخطط في المجتمع والمنفذ والمبدع والعدواني والشهواني والمتمرد ... فهي تكسب الفرد القدرة على التعبير والمبادرة المناقضة لتوفرها على عنصر المبادلة التي تقوم على احتكاك الأفراد فيما بينهم، وغالبا ما يشتمل هذا التبادل بين الأفراد « على أشكال متنوعة فيها ما ينتمي إلى دوائر اللفظ (الاتصال المنطوق)، ومنها ما ينتمي إلى تقنيات وسلطة الصورة (الاتصال البصري) وفيها الحاجات الاقتصادية وكل الأشكال التعبيرية التي أفلح الإنسان في إنتاجها » (فايزة يخلف، 186)، تساهم النكتة الشعبية في التفاعل الاجتماعي فيتعلم الفرد من

خلالها كيف يصبح فردا في أسرته وعضوا في مجتمعه، إنها عملية تعلم القصد منها أن تنمو لدى الأفراد إمكانيات هائلة ومتنوعة وسلوك فعلي مقبول وفق معايير الجماعة التي ينتمي إليها ونلمس ذلك في هذه النكته الشعبية التي تزامنت مع الانتخابات التشريعية وإضرابات الأساتذة

« قَالِكَ خَطْرُهُ وَاحِدَ التَّلْمِيزِ نَغِيبُ بَرَأْفَ فَالْقَرَايَةِ، بَحْجَةِ الْأَسَاتِذَةِ رَاهُمُ مُضْرِبِينَ. خَطْرُهُ غَيْبٌ كَيِّ دَخَلَ لِلدَّارِ بُوهُ سَقَسَاهُ قَالَهُ مَشْيِي تَدْرُسُ الْيَوْمَ يَاكَ الْأَسَاتِذَةُ حَبْسُو الْإِضْرَابِ وَبَدَاوُ الْخَدْمَةِ، قَالَهُ: بُوَيَا الْمُدْرَسَةِ نُنَاعِنَا الْيَوْمَ رَاهِي مَرْكَزُ تَاغُ فُوطُ هَيَا سَرَحُونَا قَالُونَا عَلَى سَيَمَانَهُ وَكُو » (انظر الشرح رقم 6)

فهذه النكته تمثل مدى تفاعل الأفراد مع مجتمعهم وبيئتهم ومسائرهم لمجريات وأحداث الواقعي بتحديد الزمان والمكان في إبداعها، وكيف تجعل الفرد فعالا في بيئته مشتركا في تأسيس أحداثها وناقدا لها في الوقت نفسه.

الأفراد من خلال تواصلهم ببعضهم البعض يحاولون أن يؤسسوا اشتراكا مع شخص أو مجموعة من الأشخاص يهدفون من خلال هذا الاشتراك تبادل المعلومات أو المعاني أو الاتجاهات التي تساعدنا أن نقوم بأدوار اجتماعية، لأن الظواهر الإنسانية عموما لا يمكن أن تتواجد خارج رغبة الكائن البشري في التواصل مع غيره بشكل مباشر أو غير مباشر، فمجموع ما ينتجه الإنسان عبر لغته يندرج ضمن سيروية تواصلية متعددة المظاهر والوجود، وعليه يمكن القول بأن التواصل هو من ضروريات التفاعل الإنساني وهو جزئية أساسية في المشهد الإنساني وفي خدمة المجتمع وفي التفاعل السليم لكل مكونات التأثير والتأثير.

فبمجرد النظر إلى دلالة النكت الشعبية المتداولة بين الأفراد في المنطقة، نرى أنها تشير إلى علاقة الفرد بأخيه، بزوجه، بولده، بصديقه، بالضيف، بالغريب، برجل الدين، بالحاكم... فندرس فيها عادات أفراد الشعب في البيت والنادي، في السفر والمآتم والعرس، ونبحث فيها تصرفات الثري والفقير والحلاق والتاجر والقاضي والشيخ والمغفل وغيرهم ... وفي كل هذه الحالات نتمكن من دراسة طبائع الناس وما يتحكم فيهم من مفاهيم لا يحيدون عنها، وأيضا نرى المتغيرات التي يجهد الناس في إبدالها والاجتهاد فيها، مقلدين أو صانعين ما يعتقدونه الأفضل (محمد أمين فرشوخ، 1989: 51) ونلمح هذا المعنى جليا في

استعرضنا هذه النكتة الشعبية الموضحة لتشابك العلاقات الاجتماعية وتعدد بنيتها وفهمها فتقول هذه النكتة التي تعرضت للمغفلين الأغبياء الذين يظهرون بالألمعية في المجتمع :

« قَالَكَ حَظْرَةَ وَاحِدَ حَابَسَ قَالَتْ لَهُ مَرَّتَهُ رُوحَ فُلْيُكْسِيْلِي ، كِي رَاخَ نَطَاكْسِي فُونُ قَالَهُ رَانِي بَاغِي نَفْلْيُكْسِي ديمي dix milles (100 دينار جزائري). قَالَهُ مُولُ طَاكْسِي فُونُ اعْطِينِي نِيْمِيْرُو بَاشَ نَفْلْيُكْسِي لَكَ ، قَالَهُ شَاوَاكَ نَمْدُ نِيْمِيْرُو تَاغَ مَرْنِي ، اعْطَاهُ نِيْمِيْرُو تَاغَ صَاْحِبُهُ » (انظر الشرح رقم 7).

هذه النكتة نجدها قد تعاملت وتعرضت أيضا لمستلزمات العصر الحديث مثل فليكسي flexy، التي هي ظاهرة جديدة ظهرت مع ظهور آليات الاتصال الحديث، وهذه النكتة تعرضت بالسخرية إلى هؤلاء الفئة المغفلة التي تمتاز بالغباء وتسخر من عدم تفهمهم لمعنى الحضارة وآليات التكنولوجيا الحديثة ومن شدة غباوتهم لا يستطيعون أن يميزوا بين ما هو حضاري ظهر لتسهيل التعاملات وربح الوقت، وما هو أخلاقي له علاقة بالعرض والأصالة، فالنكتة تسخر منهم عن طريق التلميح الذي يبين أنهم ينظرون إلى كل ما هو حضاري تكنولوجيا مخالفا للتقاليد والأصالة، وتظاهرون بالألمعية والفتنة.

النكتة الشعبية بهذا الفهم حاضرة لتبين مدى تشابك العلاقات الإنسانية وتفاعلها وتظهر لتلين العلاقات الشائكة بين الأفراد عن طريق بعث روح المرح فيما بينهم مخففة درجة التشنج والتوتر الذي تحدثه ضغوطات العمل ومسؤوليات البيت وقهر الزمان، هي تظهر لتبعث الحياة من جديد وتخلق تفاعلا إنسانيا اجتماعيا يتقبله الأفراد ويفهمونه نتيجة التغير الاجتماعي الطارئ عليهم، فبوظيفتها التفاعلية يمكن اعتبارها -النكتة الشعبية - سمة ثقافية جديدة تدخل المجتمع لتحدد الانطباعات المتعددة الناتجة من تفاعل سلوكيات الأفراد وطبيعتهم النفسية والاجتماعية.

وتأسيسا على ما سبق، يمكن التأكيد على أن النكتة الشعبية بهذا المفهوم تساهم في عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد واستدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية، منذ طفولته حتى نهاية العمر، باعتبار الفرد يقوم بامتصاص قيم الجماعة، وتعلم أساليب ومعايير السلوك التي تتبناها تلك الجماعة،

ولا يكون ذلك إلا عن طريق التفاعل الاجتماعي القائم على الاتصال بين الأفراد الذي يقوم فيها طرف أول (مرسل) بإرسال رسالة إلى طرف مقابل (مستقبل) بما يؤدي إلى إحداث أثر معين على متلقي الرسالة (رضوان بلخيري وسارة حباري، 2013: 13).

وحتى تتم عملية التفاعل الاجتماعي في النكتة الشعبية لابد لـ (المرسل) أن يضع في اعتباره إعداد رسالته بطريقة تمكن من تحقيق التناغم والتوافق مع (المستقبل)، ولن يتحقق ذلك إلا بربط الرسالة بجوانب من خبرته تشابه إلى حد كبير خبرة الوجهة أو المستقبل التي تقوم على الشكل الآتي :

(المرسل) ← خبرته ← (النكتة) → خبرته → (المستقبل)

الشكل 2 عملية التفاعل الاجتماعي في النكتة.

إن النكتة بدفاعها عن القيم تبحث عن التوازن الاجتماعي للأفراد، فهي صورة اجتماعية أكمل، وتضم أهدافا إصلاحية تقويمية توجيهية من عمق الحياة وتشمل جميع جوانبها في جميع أساسها، فهي تعمل على رفع المستوى الاجتماعي للفرد وتريح أعصابه وتقوّم أخلاقه وتوحد الصلة بين الناس وتجعلهم يحافظون على تقاليدهم وأوضاع مجتمعهم وتنبههم إلى أخطائهم وخطوبهم.

مبدع النكتة الشعبية و الواقع الاجتماعي:

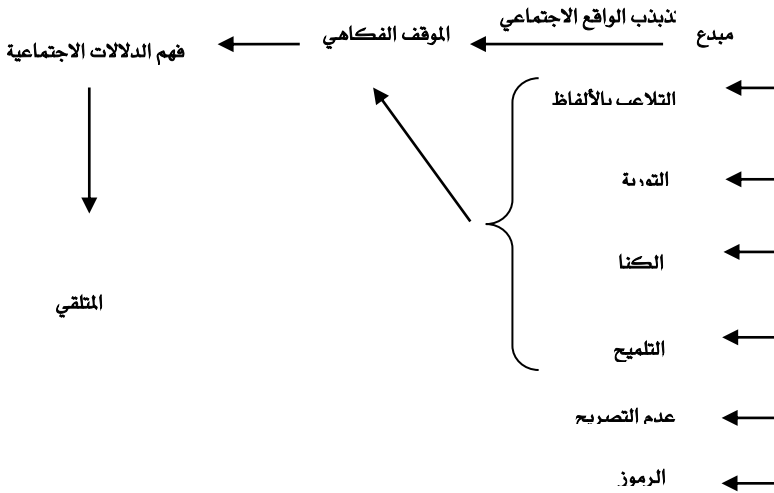
إن من وظائف النكتة الشعبية التعبير عن الوعي الاجتماعي للفرد الشعبي رغم بساطة تفكيره وتوسط مستواه الثقافي، إلا أنه عن طريق طرحه النكتة إبداعا وتداولاً نجده فاهما مدركا لما يقع من حوله منغمسا في عمق المجتمع حاملا أحكاما نقدية تجعله يخفف بها عن وطأة همومه ومشاكله، ويروي صاحب المثل السائر عن ابن خشاب الأنصاري وكان إماما في علم العربية، وأنه كثيرا ما كان يقف على حلق القصص والمشعبدين، فإذا أتاه طلبة العلم لا يجدونه في أكثر أوقاته إلا هناك وقد ليم على ذلك وقيل له : أنت إمام الناس في العلم وما الذي يبعثك على الوقوف بهذه المواقف الرذيلة ؟ فقال ذاك لو علمتم ما لمتم ؟ ولطالما

استفدت من هؤلاء الجهال فوائد كثيرة تجري ضمن هذيانهم معان غريبة لطيفة، ولو أردت أنا أو غيري أن نأتي بمثلها ما استطعنا ذلك (عبد العزيز مقال، 1978: 28)، فالوعي الاجتماعي للنكتة يكمن في مبدعها الشعبي وما يحمله من أفكار نقدية يوجهها للمجتمع في قالب فكاهي هزلي يربط بين ما هو فكاهي ومحتمل، أو كيف يكون الخطاب الفكاهي محتملا حاصلا تواصليا بكل ما هو واقعي، أخلاقي، انفعالي.

إن هذا الفرد المبدع للنكتة الشعبية لا يعيش حياة ذاتية بعيدة عن الإطار الجمعي « إنما يعيش حياة شعبية صرفة، وهو بما له من نشاط إبداعي خلاق يخلق الكلمة المعبرة التي سرعان ما تلقى هوى بين أفراد الشعب جميعه، إذ تكمن فيها روحه وتجاريه ومشكلاته » (نبيلة إبراهيم، 04)، فهو ذلك الشخص الذي يقف متحديا كل الصعاب لأجل الدفاع عن قضايا الجماهير الشعبية وتحقيق أهدافها، ويظهر في شكل جلي في النكتة الشعبية فهو شخص واقعي يتحرك في نطاق معقول، هو أقرب إلى الواقع منه إلى الخيال ويظل مفوضا من قبل الجماعة، لذلك هو يستمد قوته من الجماعة وإيمانها به، وبقدراته على تحدي الصعاب والتغلب على المخاطر بكشف الواقع وتعريته أمام الجميع، لذلك نجده حريصا كل الحرص على تحدي كل المعوقات والصعوبات من أجل تحقيق أهدافه وطموحاته الاجتماعية، وهذه الصفات هي التي تسمح للمتلقي بالاستمتاع بأجواء أحداث النكتة والاستفادة من عواملها كونها تساهم بتعريف أقوال المجتمع وتستطيع أن تعبر بشكل هزلي عن رواسب الأمم الاجتماعية وعادات الجماعات الشعبية في مختلف الحقب الزمانية والظروف المكانية.

فالوعي الاجتماعي الذي يمتاز به مبدع النكتة يجعل من النكتة الشعبية شكلا من أشكال التعبير الصادق يعبر بها عن مفهوم الشعب ومشاكله الاجتماعية في شكل قصة قصيرة الحجم تعتمد على المفارقة والتلميح دون التصريح والتلاعب بالألفاظ وتوظيف التوريات والكنائيات بلغة عامية " سلك فيها صاحبها مسلكا فيه ظرف وخفة روح أو حيل كلامية مضحكة " (فتحي محمد معوض، 1978: 33)، وهذا ما يدل على فهم المبدع الشعبي للواقع الاجتماعي أن جمال النكتة ووقعها على الأذن كامن في عاميتها وتلاعبها بالألفاظ.

لذلك نجد وعي المبدع للنكتة في إبداعها يقوم على المسار الآتي :



الشكل 3 : الوعي الاجتماعي لمبدع النكتة

إن فهم المبدع الشعبي لواقعه المعاش يجعله يعبر بما تستهويه العامة من فهم المعاني، فالأدب الشعبي الذي النكتة الشعبية جنس من أجناسه التعبيرية « لا يمكن أن يكون شعبيا إلا إذا استقبلته الجماعة الشعبية بأسرها ورددته، فلا بد أن يكون التعبير الأدبي الشعبي، مهما يكون مصدره، معداً في شكل يستهوي الجماعة بحيث يستقبله فور وصوله لها، وكأنه جزء من حياتها القديمة، ومن رصيد ثقافتها القديمة » (نبيلة إبراهيم، 08)، لذلك نجد **للجاحظ** نظرة خاصة للنكتة، فرغم أنه رجل صارم في قواعد النحو والصرف، حافظا على قوة اللغة، فإنه يتنازل عن مبدئه هذا عندما يتعلق المقال بالنكتة، بل يشجع على وجود تلك الزلات والهفوات كي يغلب على النكتة الطبيعة والعفوية والسذاجة، لا التكليف والقصد إذ يقول: « ومتى فأياك أن تستعمل فيها الإعراب وتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيك مخربا سريا، فإن ذلك يفسد الاستمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها » (الجاحظ، 145: 1950) و قال في **البخلاء**: « وإن وجدت في هذا الكتاب لحنا،

أو كلاما غير معرب، ولفظا معدولا عن جهته فاعلموا أنا تركنا ذلك لأن الإعراب يبغض في هذا الباب ويخرجه عن حده إلا أن أحكي كلاما من كلام متعاطلي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه « (بطرس البستاني، 1979: 281)، والمغزى من إباحة الجاحظ لخطأ نحوي أو إعرابي هو جلب الضحك والتنفيس عن الهموم دون تكليف، فالابتعاد عن القياس الصحيح يجلب نظر المستمع ويشعر في ذهنه بخلل ما، ويدرك الصواب أين، فيقع في ضحك عفوي ومسترسل لأنه عن طريق الانضباط والجدية يعطي للنكتة معنى الجزم والنهي وهنا تكون خارج الموضوع الفكاهي، والعرب أنفسهم « على تزمته في النحو وقواعد الإعراب أباحوا اللحن في روايات النكت » (فتحي محمد معوض، 06).

الوعي الاجتماعي للنكتة يتمحور على مبدع النكتة الذي يجب عليه أن يفهم الواقع الاجتماعي ويجعل من النكتة قناة اتصالية في تكوين وعي العامة أو الرأي العام، ويركز على النص المبدع (الرسالة - النكتة) في أن يشمل الجماعة ويمسّ جميع شرائح المجتمع، فيتكلم بلغتهم ويعبر عن آرائهم وجعل منها بمثابة المنظار الذي تقيس المسافة بينه وبين الواقع الاجتماعي أو الظاهرة الاجتماعية، بهدف بعث صفحة جديدة عليه يملئها بميولاته وأفكاره، لذلك يجب أن تصدر منه بنظرة ثابتة للمجتمع ويكون مسؤولا عن نقده، متحررا من كل القيود السياسية والاجتماعية والقانونية وحتى الدينية، وهذه الجرأة هي التي تجعل من النكتة وعيا اجتماعيا وتعطي لها ميزة الأصالة والعراقة، وتجعلها تتميز بأسلوبها وبلاغتها التي تختلف عن أساليب الأدب الرسمي وبلاغته، لأنها تشكل مزاج الطبقات الشعبية، وتصور مشاعرها وتصف الحياة الاجتماعية التي طبعت ذوقها وتصورتها بطابع البساطة والقناعة، ومنه هذه النكتة الشعبية:

« قَالَكَ خَطْرَةٌ وَأَحَدُ مَصْرِي جَا لِلْجَزَائِرِ بِأَشْ إِقْرِي الْعَرَبِيَّةَ لَصَغَارُ، أَدْخَلَ لِلْقَهْوَةِ وَطْلَبَ مَنْ لَقَهْوَاجِي يُجِيبُهُ قَهْوَهُ كَحَلِّهِ وَقَالَهُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى " اعْطِينِي فَتَنَاجٍ قَهْوَةٍ وَبِدُونِ حَلِيبٍ " لَقَهْوَاجِي جَابَلَهُ فَتَنَاجٍ قَهْوَةٍ وَمَعَاهُ بِيْدُونُ حَلِيبٍ » (انظر الشرح رقم 8).

فكلمة "بدون" في اللغة العربية تحمل معنى النفي لكنها في العامية الجزائرية تحمل معنى آخر فكلمة "بيدون" (أصلها فرنسي BIDON أي وعاء)

تعني " الدلو " ووجب على السامع حتى يفهم هذه النكتة أن يدرك قصد المتكلم القائم على التلميح الذي يحدد المعنى المزدوج لكلمة " بدون " هل هي (غير) باللغة العربية أم " بدون " هي " الدلو " عند عامة الناس والجماهير وهو ما يصور وعي صاحب النكتة بأهمية فهم لغات المجتمعات ولهجاتها.

خلاصة:

تأسيسا على ما سلف ذكره، نلمس أن النكتة من سماتها التعميم، فهي لا تهتم بالعقل والمنطق بل هي تكسير لهما لأنبائها على عنصري المفاجأة والمفارقة، وأخذها الظاهرة على علاتها، ومن هنا نلمس في مواقفها الروح التقريرية والسداجة والبساطة واحتوائها على اللغة العامية التي يخاطب من خلالها المبدع الشعبي الجماهير ويعبر عن حاجاتهم الاجتماعية والنفسية ويطمح إلى تصوير الطموح الشفاف والمغامرة الشريفة ومباركة الخطوات الناجحة لهم، لذلك نجدها - النكتة الشعبية - حافلة بقيم الشعب السامية محاولة تفعيلها تفعيلا اجتماعيا سياسيا، كاشفة كنه الشعب وأفكاره وعاداته وما يخامره من تطلعات وآمال، وبهذا التوصيف نعدّها من أقدر أشكال التعبير الشعبي استيعابا على ما يسود الحياة الاجتماعية من تناقض، وأوسعها تمثيلا لطبيعة الصراع الاجتماعي لما تحمله من استراتيجية تنفيسية ترفيهية فعالة تتوخى من خلالها نقد السلوك وتعريته .

-الشرح:

- 1 - ومعنى النكتة أن رجلا سأل شخصا ما عن مكان قصر العدالة فرد عليه أنه يعرف القصر لكنه لم يسمع بالعدالة.
- 2 - ومعنى النكتة أن متسولا تزوج بمتسولة فلما رزقا بمولود سمياه : " أعطيني ألف سنتيم " (10 دينار جزائري)
- 3 - ومعنى النكتة أن بنتا دخلت متأخرة إلى البيت فسألتها أمها عن سبب تأخرها فقالت: لقد كان يتبعني شخص يعجبني ويمشي ببطى.
- 4 - ومعنى النكتة أن طفلا سأل والده ما الفرق بين القضاء والمصيبة ؟ فرد الوالد يشرح لابنه الفرق بمثال قائلا: لو أننا ذهبنا إلى البحر للسباحة وغرقت أمك، فهذا قضاء وقدر لا نعترض عليه، لكن المصيبة لو كانت أمك تحسن السباحة.

5 - ومعنى النكتة أن امرأة كانت كلما سألت خطيبها :ماذا أكلت اليوم في وجبة الغذاء؟ فيرد أكلت طبق لوبياء .فقال له صديقه أكذب عليها هذه المرة فمن غير المعقول أن تتناول اللوبياء كل يوم، قل لها أكلت اليوم بيتزا .فأخذ الرجل بنصيحة صديقه ،وعندما التقى بخطيبته وسأله ماذا أكلت اليوم ؟قال : تناولت بيتزا؟ فسأله :هل كان طعمها لذيذ؟ فرد قائلا : والله لم أتناول منها سوى ملعقتين فقط.

6 -معنى النكتة أن تلميذا كان كثير الغياب عن المدرسة بحجة إضراب الأساتذة عن التدريس .وفي مرة من المرات عندما عاد على البيت سأله والده :أليس من المفروض أن تدرس اليوم فلأساتذة قد أوقفوا إضرابهم ؟ فرد التلميذ :يا والدي مدرستنا اليوم مركز انتخاب وقد سرحونا وطلبوا من العودة بعد أسبوع.

7 - ومعنى النكتة أن رجلا غيبا طلبت منه زوجته أن يشحن رصيد هاتفها الجوال فلما ذهب إلى صاحب المحل، طلب منه الرقم الذي يريد أن يشحن رصيده فغضب الرجل وقال كيف أعطيك رقم زوجتي!!! ، وقدم له بدله رقم صديقه.

8 - ومعنى النكتة أن معلما مصريا للغة العربية جاء إلى الجزائر، ودخل إلى إحدى المقاهي وطلب من النادل أن يأتيه بفنجان قهوة بدون حليب متلفظا هذه الجملة باللغة الفصحى ،لكن النادل لم يفهمه وجاءه بفنجان قهوة ودلو من الحليب) لأنه فهم كلمة "بدون" بالمعنى المقابل لها العامي في العامية الجزائرية والذي يعني"دلو".

- الملاحق :-

- قَالَكْ خَطْرَهْ واحد سَقْسَى واحد قاله خويا ما تُعرَفْش قَصْر العَدَالَهْ وين جاي، رد عليه لآخر القصر نُعرِفُه وين جاي بَصُحْ العَدَالَهْ عُمَرِي مَا سَمَعْتُ بِهَا (هذه النكتة متداولة كثيرا في منطقة وهران سمعتها من جماعة يقطنون بحي بلاطو باعتبار أن قصر العدالة موجود في حيهم وكانوا متواجدين على شكل جماعة يتداولون الفكاهة)

- قَالَكْ خَطْرَهْ واحد طَلَّابْ تزوج مَعَ طَلَّابَهْ زَيْدُو وَلَد سَمَاوَهْ "هَاشُو أَلْف" (سمعت هذه النكتة أكثر من مرة في مدن متعددة منها مدينة وهران وسعيدة وسيدي

لبعباس من أشخاص كثيرين باعتبار ظاهرة التسول منتشرة كثيرا في منطقة الغرب الجزائري هذا ما أدى لكثرة تداولها فلم أحدد لها راو باسم معين).

- قَالَكُ خَطْرَةٌ وَحَدَه دَخَلْتُ لَدَارُ رُوَطَارَ، كِسَقْسَتْهَا امَّهَا عَلَاشْ دَخَلْتِي رُوَطَارَ حَتَّى ذَا نُوَقْتُ؟ قَالَتْهَا جِيَتْ رُوَطَارَ لَخَاطَرُشْ كَانَ وَاحِدَ اتَّبِعْ فِيَّا وَعَجَبْنِي وَيَتَمَشَّى غَيْرَ فِي غَرْدَه وَيَشْوِيَّ عَلَيْهِ (دونت هذه النكتة حين سمعتها من طالبة جامعية تحضر ماستير تخصص علم الاجتماع ثقافي بجامعة وهران أفريل 2010 حين كنت أحضر مذكرة ماجستير والطالبة لا أعرف اسمها.

- وَحَدَه الْخَطْرَه بَزْ سَقْسَى بُوه: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالْمُصِيبَةِ. قَالَهُ بُوه: رُحْنَا لِلْبَحْرِ نَعُومُو، وَغَرَقْتُ امَكْ هَذَا يَعْطُولُهُ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ مَا نَعْتَرِضُشْ عَلَيْهِ، لَكُنْ الْمُصِيبَةُ لَوْ طَلَعْتُ امَكْ تَعْرِفْ نَعُومْ (دونت هذه النكتة حين سمعتها من رجل لا أعرف اسمه يقطن مدينة معسكر وكان يبيع للخضر بسوق الجملة بوهرا

أفريل 2016)

- قَالَكُ خَطْرَه وَاحِدَ دِيمَا تَسَقْسِيهِ حَطِينِيهِ وَاشْ فَطَرْتُ الْيَوْمَ يَقُولُهَا لُونِيَا وَكُلْ يَوْمَ السُّوَالِ غَيْرَ هُوَ وَنِجُونَهَا دِيمَا هَكَذَا. وَحَدَ النَّهَارِ قَالَهُ صَاحِبُهُ كَذَبَ عَلَيْهَا شَوِيَّهَ وَهَآؤُ كُلْ يَوْمَ ثَقُولُهَا كَلِينَا لُونِيَا، الْيَوْمَ كِي تَسَقْسِيكَ قُولُهَا فَطَرْتُ بِيْتَرَا، دَارَ عَلَى صَاحِبِهِ كِي ثَالِقَا بِيهَا سَقْسَاتِهِ شَا فَطَرْتُ الْيَوْمَ قَالُهَا فَطَرْتُ بِيْتَرَا. قَالَتْ لَهُ وَاشْ جَاتْ بَنِيْنَه ، قَالُهَا وَاللهُ كَلَيْتْ غَيْرَ رُوجْ مَغَارِفْ مَنَهَا (دونت هذه النكتة الشعبية من تلميذ أدرسه السنة الثالثة ثانوي شعبة لغات بثانوية محمد بن

عثمان الكبير بحي مرافال وهو يقطن بحي شوبو ماي 2017 يدعى نياطي مروان)

- قَالَكُ خَطْرَه وَاحِدَ التَّلْمِيذِ يَغِيْبُ بَزَافْ قَالْقَرَايَه، نَحْجَه الْأَسَاتِذَه رَاهُم مُضْرِبِينَ. خَطْرَه غِيْبَ كِي دَخَلَ لِلدَّارِ بُوه سَقْسَاهُ قَالَهُ مَشِّي تَدْرُسُ الْيَوْمَ يَاكَ الْأَسَاتِذَه حَبَسُو الْإِضْرَابَ وَبَدَاوُ الْخَدْمَه، قَالَهُ: بُوِيَا الْمَدْرَسَه نَتَاعْنَا الْيَوْمَ رَاهِي مَرْكَزْ تَاغْ فُوطْ هِيَا سَرَحُونَا قَالُونَا عَلَى سِيْمَانَه وَكُو (دونت هذه النكتة الشعبية في مدينة تلمسان من قبل زميل كان يحضر معي مذكرة الماجستير بجامعة تلمسان تخصص نكتة شعبية من قسم الثقافة الشعبية وهو يقطن مدينة مستغانم يدعى غربي عبد الكريم ومعروف بميولاته المسرحية).

- قَالَكَ حَظْرَةَ وَاحِدَ حَابَسَ قَالَتْهُ مَرَّتُهُ رُوحَ فُلَيْكْسِي، كِي رَاخَ لُطَاكْسِي فُونُ قَالَهُ رَانِي بَاغِي نَفْلَيْكْسِي دِيمِيل (100 دج) قَالَهُ مَوْلُ طَاكْسِي فُونُ اعْطِينِي نِيْمِيرُو بَاشَ نَفْلَيْكْسِي لَكَ، قَالَهُ شَاوَلَا نَمْدَ نِيْمِيرُو تَاغَ مَرْتِي، اعْطَاهُ نِيْمِيرُو تَاغَ صَاحِبَهُ. (دونت هذه النكتة شاب يعمل بقالا في سوق ميموزا بحي البدر ويلقب بحمو راديو في صيف 2016)

- قَالَكَ حَظْرَةَ وَاحِدَ مَصْنَرِي جَا نَجَزَايَرُ بَاشَ إِقْرِي لَمَرْيَّةَ لَصَغَارَ، أَذْخَلَ لِلْقَهْوَةِ وَطَلَبَ مَنْ لَقَهْوَاغِي نَجِيْبَلَهُ قَهْوَةَ كَحَلَّةَ وَقَالَهُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى " اعْطِينِي فَتْنَجَانِ قَهْوَةٍ بَدُونِ حَلِيبٍ " لَقَهْوَاغِي جَابَلَهُ فَتْنَجَانِ قَهْوَةٍ وَمَعَاهُ يِيدُونُ حَلِيبٍ (دونت هذه النكتة حين سمعتها من معلم متقاعد عمره يراوح السبعينات يلقب حمزاوي عبد الكريم وكل شباب الحي يدعونه بالشيخ)

-قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830 - 1945، (1978)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
- 2 - الجاحظ، البيان والتبيين، (1950)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ج 2 .
- 3 - الحاج بن مومن، (2005)، الحكاية الشعبية في التراث المغربي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط .
- 4 - الكزاندر هجرتي كراب، (1967)، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- 5 - بطرس البستاني، أدباء العرب في العصر العباسي (حياتهم - آثارهم - نقد آثارهم)، (1979)، دار مارون عبود.
- 6 - خليل أحمد خليل، (1973) نحو سوسولوجيا للثقافة الشعبية، دار الحداثة.
- 7 - رضوان بلخير وسارة حباري، (2013)، مدخل للاتصال والعلاقات العامة، جسور النشر والتوزيع، ط1، الجزائر.
- 8 - روزلين ليلي قريش، (1989)، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

- 9 - سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 10 - عبد الحميد بورايو الطاهر، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 11 - عبد الحميد بورايو الطاهر، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 12 - عبد الحميد بورايو الطاهر، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 13 - عبد الحميد شاكر، الضحك والفكاهة "رؤية جديدة"، (2003)، المجلس الأعلى للفنون والثقافة، الكويت.
- 14 - عبد العزيز مقالح، (1998)، شعر العامية في اليمن، دراسة تاريخية نقدية، دار العودة، بيروت .
- 15 - عبد النبي ذاكر، (2000)، استراتيجيات الفكاهة في الرحلة العربية، مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، العدد 10.
- 16 - علي أفرفار، (1996)، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلمي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت.
- 17 - فايزة يخلف، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، منشورات كراسك، وهران.
- 18 - فتحي محمد معوض، (1978)، الفكاهة في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 19 - فرليفة حميد، (2010- 2011)، الدلالة الاجتماعية للنكتة في المجتمع الجزائري، دراسة وتحليل محتوى مجموعة من النكت مجموعة من مناطق مختلفة من المجتمع، مخطوط شهادة دكتوراه، تخصص علم اجتماع الثقافى، جامعة الجزائر2.
- 20 - قس النوري، الأساطير وعلم الأجناس، أكاديمية الفنون الجميلة، جامعة بغداد .

- 21 - محمد أمين فرشوخ، (1989)، أدب الفكاهة في لبنان، دراسة وعرض، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت.
- 22 - محمد عودة، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- 23 - محمد مجاهد، الحكاية الشعبية (الماهية - الرمزية - الوظيفة - المأثورات)، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، الطبعة 1.
- 24 - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف الطبعة الثالثة، القاهرة.
- 25 - موسى. حبيب، ديسمبر 2011، الغموض في شعر أبي تمام وإشكالية التلقي، مجلة قراءات، معسكر، الجزائر، العدد الثاني.
- 26 - هاني صبحي العمدة، (2006)، ملامح النكتة الشعبية في الأردن، شعبية متحركة و فاعلة، دراسات، العلوم الإنسانية الاجتماعية، المجلد 3، العدد 1.